كان قد وقع معاهدة سرية مع اتيين قد انضم الى العدو . ثم اخذت مدن ليثونيا واحدة بعد أخرى تسقط بيد الليثونيين . فقد أرسل الالمان براميل من النبيذ الى ضباط حامية دونبرغ ، فلما أخذ منهم السكر مأخذه قام الليثونيون بهجومهم على الحصن وذبحوا من فيه من الروس. وحدث ما يشبه ذلك في ڤيندن حيث قام العدو بهجوم أثناء الليل وفاجأ رجال الحامية النيام . وحاول إيڤان موتيسلافسكي وابنه أن يسترجعا المدينة ولكنهما اصطدما بمقاومة ضارية من جانب العصابات المنخرطة في طاعة الملك إتيين .

وبدأ في الوقت نفسه جيش سويدي في محاصرة دوربات ، فغزا ضواحيها وذبح فيها عددا كبيرا من العائلات الروسية . وعاد هانيبال مع فلاحيه المسلحين يناوشون الروس الذين غدا وضعهم خلال الربيع والصيف حرجا للغاية وحل الانقسام في مجلسهم في موضوع القيادة . وبدا واضحا أن وجود القيصر قد غدا ضروريا فهو وحده يستطيع أن يعيد الى الجيش روحه المعنوية ؛ كما لم يعد ثمة شك في انه بقيادته الشديدة التي لا تعرف الرحمة قد يستطيع أن يحفظ ليثونيا من الضياع ، وربما كان الملك اتيين داهية ومهما كان نشيطا فانه لم يكن يملك شخصية إيڤان القوية الآسرة . ولكن إيڤان كان قد اغتر بنفسه . فمنذ أن كان في موسكو والكسندروفا أخذ يعامل قادته معاملة سيئة ويهددهم فعرض الخطر كل شيء. وأرسل في الصيف جيش روسي قوي لمحاصرة ڤيندن ولكنه كان يشكو من سوء القيادة كما انه تعرض لضغط قوي قام به جيش مزيج من السويديين والليتوانيين والليثونيين تساعدهم ايضاً قوة من التتر حتى اضطر القائد الروسي الى الفرار الى دوربات، تاركا جيشه يعالج صعوباته بنفسه . وعندما فقد الجنود قائدهم سارع قسم كبير منهم الى الفرار ، ولكن بقية الجيش قاومت مقاومة ضارية رغم فقدان القيادة من أجل تأجيل النهاية ، وبقيت مقاومتهم الباسلة مستمرة حتى هلكوا جميعهم بينما كان المدفعيون متعلقين بمدافعهم من اليأس .